ابليس ذليلا فقال يا الهي انما هونت على ايوب المال والولد لانه
يرى انك ما متعته بنفسه فانت تجدد له المال والولد فهل
انت مسلطي على جسده فقال الله عز وجل اذهب فقد سلطتك
على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه
وكان الله عز وجل اعلم به لم يسلطه عليه الا رحمة له ليعظم له
الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء
نزل بهم ليتاسوا به في الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو الله
سريعا فوجد نبي الله ايوب ساجدا فعجل قبل ان يرفع راسه
فاتاه من قبل وجهه فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده
فخرج من قرنه الى قدمه ثاليل مثل اليات الغنم ووقعت فيه
حكة فحك باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة
حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحكها
حتى نغل لحمه وتقطع وتغير وانتن واخرجه اهل القرية
فجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا ورفضه خلق الله كلهم
غير امراته وهي رحمة بنت افرايم ابن يوسف ابن يعقوب
كانت تختلف اليه بما يصلحه وتلزمه فلما راى الثلاث من
اصحابه وهم اليفز وبلدد وصافر ما ابتلاه الله به اتهموه
ورفضوه من غير ان يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلقوا اليه
فبكتوه ولاموه وقالوا له تب الى الله من الذنب الذي عوقبت
به قال وحضره معهم فتى حديث السن ممن امن به وصدقه
فقال لهم انكم تكلمتم ايها الكهول وكنتم احق بالكلام مني
لاسنانكم ولكن قد تركتم من القول احسن من الذي قلتم ومن
الراي اصوب من الذي رايتم ومن الامر اجمل من الذي اتيتم
وقد كان لايوب عليكم من الحق والذمام افضل من الذي
وصفتم فهل تدرون ايها الكهول حق من انتقصتم وحرمة
من انتهكتم ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم الم تعلموا ان
ايوب نبي الله وخيرته وصفوته من اهل الارض يومكم هذا
ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله على انه قد سخط شيئا من
امره منذ اتاه الله ما اتاه الى يومكم هذا ولا على انه نزع
منه شيئا من الكرامة التي اكرمه الله بها ولا ان ايوب قال
على الله غير الحق في طول ما صحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلا
هو الذي ازرى به عندكم ووضعه في انفسكم فقد علمتم ان الله
تعالى يبتلي النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وليس بلاؤه لاولئك دليلا على سخطه عليهم ولا لهوانه
لهم ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان ايوب ليس من الله بهذه
المنزلة الا انه اخ احببتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل

بالحليم

57

بالحليم ان يعذل اخاه عند البلاء ولا ان يعيره بالمصيبة ولا
ان يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكي
معه ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدله على مراشد امره ليس
بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله ايها الكهول وقد كان
في عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع السنتكم ويكسر قلوبكم
الم تعلموا ان لله عز وجل عبادا اسكتتهم خشيته من غير عي ولا
بكم وانهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء الالباء العالمون بالله
ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انقطعت السنتهم واقشعرت جلودهم
وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لله عز وجل واجلالا
له فاذا استفاقوا من ذلك استبقوا الى الله تعالى بالاعمال
الزاكية يعدون انفسهم مع الظالمين والخاطئين وانهم
لابرار برآء ومع المقصرين المفرطين وانهم لاكياس اقوياء
فقال ايوب عليه السلام ان الله سبحانه يزرع الحكمة بالرحمة
في قلب الصغير والكبير فمتى نبتت في القلب يظهرها الله تعالى
على اللسان وليست تكون الحكمة من قبل السن والشيبة
ولا بطول التجربة واذا جعل الله تعالى العبد حكيما في الصبا
لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله سبحانه عليه نور الكرامة
ثم اعرض عنهم ايوب واقبل على ربه مستغيثا به متضرعا اليه
فقال رب لاي شيء خلقتني ليتني اذ كرهتني لم تخلقني يا
ليتني عرفت الذنب الذي اذنبت والعمل الذي عملت
فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت امتني فالحقتني بابائي
فالموت كان اجمل بي الم اكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم
وليا وللارملة قيما الهي انا عبد ذليل ان احسنت فالمن لك وان
اسات فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا وللفتنة نصبا
وقد وقع علي بلاء لو سلطته على جبل ضعف عن حمله فكيف
يحمله ضعفي وان قضاءك هو الذي اذلني وان سلطانك هو
الذي اسقمني وانحل جسمي ولو ان ربي نزع الهيبة التي في صدري
واطلق لساني حتى اتكلم بملء فمي ثم كان ينبغي للعبد ان يحاج
عن نفسه لرجوت ان يعافيني عند ذلك ولكنه القاني وتعالى
عني فهو يراني ولا اراه ويسمعني ولا اسمعه لا نظر الي فرحمني
ولا دنا مني ولا ادناني فادلي بعذري واتكلم ببراءتي واخاصم
عن نفسي فلما قال ذلك ايوب عليه السلام واصحابه
عنده اظله غمام حتى ظن اصحابه انه عذاب ثم نودي يا ايوب
ان الله تعالى يقول ها انا قد دنوت منك ولم ازل منك قريبا
ثم فادل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد
ازرك وقم مقام جبار يخاصم جبارا ان استطعت فانه لا ينبغي

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)